(فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة)

تأليف السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ رحمه الله (١٣٢٦-١٤٠٥هـ)

دراسة وتحقيق أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

قراءة وتعليق: م.د سليمة فاضل حبيب

جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

(The Jurists of Al-Faiha and the Development of the Intellectual Movement in Hillah)

Authored by Sayyid Hadi Hamad Al Kamal Al-Din Al-Husayni (1326-1405 AH)

Study and Investigation by Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji

Reading and Commentary by

Lect. Dr. Salima Fadhil Habib

University of Kufa/College of Basic Education

كتاب (فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة) للسيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ، من الكتب المميَّزة في تاريخ الحِلَّة الفيحاء، والترجمة لعلمائها الأعلام؛ فهو، وإن لم يستوفِ جميع العلماء المؤرَّخ لهم، إلَّا أنَّه يعدُّ بدايةً جديرة بالعناية والتتبُّع، وطُبع الجزء الأوَّل منه، طبعته وزارة المعارف- كما أشار هو في مقدِّمته- والجزء الثاني جاء متأخِّرًا بسنين عدَّة عن الأوَّل، طُبع بعد وفاته، وبالتحديد بعد سقوط النظام السابق؛ وكان مليئًا بالأخطاء المطبعيَّة، والتصحيفات، والتحريفات، وهذا الكتاب بحسب وفاة المصنِّف لا يعدُّ تراثًا، ولكن بحسب سنة التأليف هو من التراث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ترجمته لعلماء الحِلَّة الفيحاء، ترجمة جيِّدة، تُعدُّ محاولة فتحت الباب للباحثين، وفتحت أذهانهم للوقوف على التراث الضَّخم والثرِّ لمدينة الحِلَّة قديمًا وحديثًا.

الكتاب طُبع حديثًا في عام ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ في جزأين (الجزء الأوَّل في: ٥٢٨ صحيفة، والثاني في: ٣٥٢ صحيفة) عن العتبة العبَّاسيَّة المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، بدراسة وتحقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ، وإشراف أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ، وكان عمل المحقِّق الأعرجيّ بحسب ما ذَكَر في مقدِّمة الكتاب[1]، على الآتي:

١. «قراءة الكتاب قراءة متأنِّية؛ وتنضيده بمساعدة الأخوة العاملين في مركز تراث الحِلَّة.

٢. المراجعة العلميَّة للآراء الواردة فيه، وعرضها على المراجع والمظانِّ التي استقى

(١) لاحظ: فقهاء الفيحاء، مقدِّمة المحقِّق: ١/ ١٥-١٦.

منها المصنِّف مادَّة البحث، من آراء فكريَّة، وفقهيَّة، وغيرها.

٣. المراجعة التاريخيَّة، وممارسة النقد التاريخيّ للحوادث والآراء الواردة في هذا الكتاب، وترجيح الصَّواب قدر الإمكان.

٤. تخريج الأحاديث بالرُّجوع إلى مظانِّ الكتب، وكلِّ الآراء التي وردت في فقهاء الفيحاء.

٥. ترجمة وافية للعلَّامة السيِّد هادي كمال الدين، وذلك بالرجوع إلى المصادر، وإجراء اللقاءات الشخصيَّة مع معارفه، ولاسيما ابنه السيِّد عليّ حفظه الله.

٦. دراسة عن منهج السيِّد هادي كمال في كتابه فقهاء الفيحاء، وبيان موارد استقائه المعلومة، مع عرضٍ وافٍ وموجزٍ لأفكاره، وآرائه»[١].

الوصف المادِّيّ للكتاب

حياة السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ استوفت عدد الصحائف (من ١٧ إلى ٤٨)، ذكر فيها المحقق الأعرجيّ: نَسَبُهُ، وولادته، ونسبته، ونشأته، ووكالاته، وأبرز شيوخه، وأساتيذه، وأدبه، وما قيل فيه، وتوظيفه الشعر للقضايا الوطنيَّة، مصنَّفاته بقلمه: (القسم الأوَّل: المصنَّفات المطبوعة للمؤلِّف، القسم الثاني: المصنَّفات المخطوطة المسجَّلة بمكتبة المتحف العراقيّ بموجب الأمر الإداريّ (٣٧٥٠) في ٣/ ٣/ ١٩٧٦م، القسم الثالث: المصنَّفات غير المسجَّلة في المتحف العراقيّ)، واغتياله، هذا كلُّه استوفاه المطلب الأوَّل.

أمَّا المطلب الثاني: فهو في منهج السيِّد هادي كمال الدين في فقهاء الفيحاء، وهو في مفهومَين مهمَّين؛ الأوَّل: المنهج الخارجي، والثاني: المنهج الداخليّ[٢].

(١) انظر: فقهاء الفيحاء: ١/ ١٦.

(٢) انظر: فقهاء الفيحاء: ١/ ٣٩.

ومن ثمَّ ختم الأعرجيّ الدراسة بأمرَين مهمَّين: موارده، و(وصف الكتاب وتقييمه)، وعمله في هذا الكتاب الذي ذكر فيه «لم يكن الكتاب مخطوطًا وذا نسخٍ خطِّيَّةٍ؛ لنُجري المقابلة، ونحدِّد النسخ، وما شاكل ذلك من أمور التحقيق، مع كونه موجودًا ومخطوطًا في مكتبة المتحف العراقيّ، وتحت الرقم ١٠١١١ في سنة ١٩٧٦م، ولكنَّ الكتاب المخطوط ضاع مع ما ضاع من مخطوطات نفيسة تعدُّ بالآلاف في نكبة ١٩٩١م في العراق، ولاسيما في النجف وكربلاء، وبعد نكبة العقد الأخير من القرن المنصرم، جاءت مصيبة العام ٢٠٠٣م حين سقط النظام الطاغي، وأصبحت مكتبة المتحف العراقيّ نهبًا وسلبًا، وفُقِد ما فُقِد من كتب ومخطوطات نفيسة»[١].

تبدأ المادَّة العلميَّة للكتاب من الصحيفة (٥٠) من الجزء الأوَّل بـ«التمهيد: هَلِ الحَيَاةُ سِوَى مَجْمُوعَةِ قَصَصٍ مُتَضَادَّةٍ، مُتَمَانِعَةٍ مِنْ كِتَابِ الوُجُودِ الذِيْ أَلَّفَهُ الخَالِقُ المُبْدِعُ أَجْمَلَ تَأْلِيفٍ؛ لِيَكُونَ إِبْداعُهُ دَلِيلاً عَلَى مُبْدِعِهِ؟»[٢].

بعدها يبدأ المصنِّف في المقدِّمة بذكر التاريخ اللغويّ، والتأصيل المعرفيّ، للفظ (الحِلَّة)، وذكر مقام ردَّ الشمس مستشهدًا بأبيات عدّة[٣].

وبعدها تستوفي هذه المقدِّمة إلى الصحيفة (١٣٢)، تخلَّلها مجموعة من العنوانات الفرعيَّة؛ لا مندوحة عنها لكلِّ من يريد الولوج إلى معرفة منهج المصنِّف، وأثر الحِلَّة، وفقهائها في هذه المدينة الجميلة.

التراجم، ترجم السيِّد هادي آل كمال الدين لـ(١٢٥) عالمًا ابتداءً من القرن الرابع الهجريّ، بترجمة الحائك (ت٣٣٤هـ)، وانتهاءً بالسيِّد هاشم كمال الدين (ت١٣٤١هـ).

(١) فقهاء الفيحاء: ١/ ٤٣.

(٢) فقهاء الفيحاء: ١/ ٥١.

(٣) فقهاء الفيحاء: ١/ ٥٧-٥٨.

ملاحظاتٌ على المُصنِّف، والمُحقِّق

- التباين النسبيّ بين من ترجَم لهم السيِّد كمال الدين؛ فهناك ترجمة استوفت عشرين صحيفة، وأخرى لم تتجاوز الصحائف المعدودة لكفِّ اليد الواحدة.
- النقد اللاذع الذي يوجِّهه السيِّد كمال الدين لبعض الشخصيَّات المترجَم لها.
- تنويع الترجمات بالاستشهادات الشعريَّة، والتفكُّه، والاسترسال الإنشائيّ.
- وقع المصنِّف ببعض الإشكالات التاريخيَّة، وضَّحها المحقِّق في هوامش الكتاب مشكورًا.
- الكتاب كان مليئًا بالتصحيفات والتحريفات في الطبعة التي رجع إليها المحقِّق الأعرجيّ، وقد عالجها معالجة ناجحة، أشار إليها في الهوامش.
- ولوع السيِّد كمال الدين بالشعر، والأدب؛ فقلَّما تجده لا يذكر البيت أو البيتَين له قطعًا في وصف حالة، أو تندُّر، وفكاهة، ولا تخلو ترجمة من ذلك.
- الموضوعيَّة في تناول الترجمات، ونقدها، والتوجيه بعض ما يحتاج إلى توجيهٍ، من أمورٍ ظاهرها التناقض.
- الكتاب ذو قيمةٍ معرفيَّة كبيرة؛ فهو أوَّل كتاب وصلنا كاملًا في ترجمة علماء الحِلَّة، وأمَّا كتاب (الخزامى) فلم يصل كاملًا؛ بسبب الأرضَة، والتلف.

- المُصنِّف ترجم لعلماء معاصرين له، وهو وإن كان قد نقد بعضهم، إلَّا أنَّه كان نقدًا موضوعيًّا، خالصًا.
- قام مُحقِّق الكتاب بتشكيل النصِّ جميعه، من البدء إلى النهاية.
- وقعت لمُحقِّق الكتاب أخطاء في تشكيل النصِّ، كما في الجزء الأوَّل، الصحيفة ٦٨ في أبيات الصفيّ الحِلِّيّ، وما سواه نادر.
- قدَّم محقِّق الكتاب بمقدِّمة أراها جديرة، كقوله في الاشتباه والتحريفات التي تحصل في النسخ الخطيَّة.
- المُحقِّق مارس أثره بالتخريج والتعليق، والتوجيه؛ فقد سار مُحقِّق الكتاب سيرَ المُحقِّق الشارح.

الكتاب بعد تحقيقه، واستوائه على سوقه، عُملتْ له فهارس علميَّة، تضمَّنت:

- الآيات القرآنيَّة.
- الأحاديث النبويَّة الشريفة، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.
- الأعلام من المعصومين.
- الأعلام من غير المعصومين.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس البيوتات والقبائل والفرق.
- فهرس المؤلَّفات المذكورة في المتن.
- فهرس الأشعار (بحسب القافية).

تبع ذلك فهرس المصادر والمراجع الذي أعدَّه محقِّق الكتاب.

كتب المحقِّق نهاية الجزء الثاني: «اكتملَ تَحقيقُ هذا الكتابِ بعونِ المَلِكِ الوهَّابِ في ذِكرى اليومِ الذي باهلَ بِهِ رسولُ الله نصارى نجران، وهو اليوم نفسه الذي تصدَّق بِهِ أميرُ المؤمنين بخاتمه في الرابع والعشرين من شهر الحجِّ لسنة ١٤٣٧هـ، في أرضِ أميرِ الموحِّدين سلَامُ الله عليه أسألُ اللهَ سبحانه أنْ يرزقنا حبَّه وولايته إنَّه نِعْمَ المَولى ونِعْمَ النَّصير»[1].

وأخيرًا أقول:

الكتاب ذو قيمة معرفيَّة عالية، وهو عبارة عن منظومة متنوِّعة من المعارف المبثوثة فيه، فتجد السيِّد كمال الدين تارةً أصوليًّا، وأخرى مؤرِّخًا، ومرَّةً أديبًا وشاعرًا، وأخرى ناقدًا للمتن والسَّند، ومرَّةً ببلوغرافيًّا، وأخرى لغويًّا، وغيرها من العلوم الإنسانيَّة التي لها وثيق تعلُّقٍ بالدِّين، ومعارفه.

أرجو التوفيق للمؤسَّسة التي تبنَّت مشروع تحقيقه، ولاسيما مُحقِّق هذا الكتاب القيِّم، الذي بذل فيه جهدًا مميَّزًا.

(١) فقهاء الفيحاء: ٢/ ٢٦٩.